(٧٣) أبو عبد الله التُّروغبذي[١]

ذكر الشيخ [أبي] عبد الله التُّرُوْغْبذي رحمه الله:

كان قدّس الله سرّه وحيدًا في عصره، فريدًا في دهره، وهو من أجلِّ مشايخ طوس، وكان في الورعِ والتجريد والتقوى كاملاً، وله كراماتٌ ورياضات عالية.

وأدركَ صُحبةَ أبي عثمان الحيري.

وكان ابتداءُ حاله أنّه وقعَ في طوس قحطٌ عظيم، حتى أكلوا الجيفَ، وهو دخلَ بيتَهُ يومًا، ورأى فيه رطلين من الحنطة، فالتهبَ لذلك فؤادُهُ، ووقع في نفسه: أنَّ المُسلمين في ضيقٍ حتى يأكلوا الجيف، ولك في البيت هذا القدرُ من الطعام مُدّخرًا! فخرج، وتوجّه إلى الصحراء هائمًا، واشتغلَ بالمجاهدة والرياضة.

نقل أنه كان في منزله مع بعض أصحابه مَشغولاً بالأكل، إذ جاءَ إليه شخصٌ من جانب كشمير ضيفًا، ومعه كلبٌ أسود يجرُّه بحبلٍ في رقبته، فأمرَ أصحابَه باستقباله، فطلعوا إليه، ولمّا دخل قامَ له الشيخ [أبو] عبد الله إكرامًا للضيف، وأجلسَه في مكانه، فجلسَ وأجلسَ الكلبَ في جنبه، وأكلَ وأطعم الكلب، ثم قامَ وخرجَ، وأصحابُ الشيخ قد أَضمروا الإنكارَ عليه، ولمّا غابَ هو عن المجلس أَظهروا الاعتراض، وقالوا: يا شيخ، لمَ أَمرتنا بالاستقبال له،

---

(١) اسمه محمد بن محمد، وترجمته في: طبقات الصوفية ٤٩٤، المنتظم ٧/ ٢٢، مناقب الأبرار ٨٦٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٣٦، طبقات الأولياء ٢٤٢، نفحات الأنس ٣٨٣، طبقات الشعراني ١/ ١٢٤، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٠. والتروغبذي نسبة إلى تروغبذ وهي قرية من قرى طوس.

وأكرمتَه بالقيام له، وعظّمته بأن أجَلستَهُ في مكانك، والكلب معه؟ قال الشيخ: نِعْمَ ما قلتم، ولكن فرقٌ كبيرٌ بيننا وبينه، أما إنّه يجرُّ الكلبَ، والكلبُ يتبعُه، ولكلٍّ منَّا كلبٌ نحن نتبعُهُ، فما تقولون بين من يتبعُهُ الكلبُ، ومن هو يتبعُ الكلب؟ نعم، فمن كلبُهُ ظاهرٌ يُمكنُ الاحترازُ عنه، بخلاف كلبنا، فإنّه خفيٌّ، ولا يُمكنُ الاحترازُ عنه.

أقول: ويمكن أيضًا تطهيرُ ما يُنجّسُه كلبُه باستعمال الماء، وما ينجّسُهُ كلبُنا لا يمكن تطهيرُه بالماء الطاهر الظاهر. وكلبُه يقصدُ العدوَّ ويؤذيه، وكلبُنا لا يُؤذي إلاّ الصديق. وكلبه يقنع بأدنى شيءٍ وأخسّه ليتغذّى به، وكلبُنا لا يقنعُ إلاّ بأعزِّ الأشياء لنا. وكلبُه كلَّما نهرته ينزجر ويمتنع، وكلبُنا لا يَمتنعُ بالزجر؛ بل كلَّما تزجرُهُ يَزدادُ حرصُه في الإفساد. وكلبُه إذا صالحَ معه ينصلحُ، ويتركُ الشرَّ، وكلبُنا إذا صالحنا معه يزدادُ شرُّه وغيُّه. وكلبُه خارجٌ، وكلبُنا داخلٌ. وكلبُه ليس من أتباعِ الشيطان، وكلبُنا هو من أتباعه. وكلبُه إذا شبعَ يطمئنُّ، وكلبُنا إذا شبعَ يزدادُ قلقُهُ واضطرابُه؛ بل كلبُنا كلَّما شبعَ يزدادُ جوعُهُ. وكلبُه إذا صاحبَ الإنسانَ مدَّةً يستأنسُ به، وكلبُنا لا يستأنسُ بنا طول عمرنا. والله أعلم.

ومن كلامه ما نقل أنه قال: إنَّ الله تعالى أَعطى كلَّ عبدٍ من العباد قدرًا من المعرفة يَقوى على احتمالِ البلاء.

وقال: من ضيَّعَ حكمًا من أحكامِ الله تعالى في أيام شبابه يحقرُهُ الله تعالى في شيخوخته، ومن خدمَ واحدًا من رجال الله تعالى مرَّةً في عمره، تصلُ إليه بركتُه في جميع عمره، فكيف حال من يخدمهم في جميع أيام عمره؟.

وقال: لا لذَّة في أُنس الإخوانِ بعضِهم مع بعضٍ مع مرارة وحشةِ الفراق.

وقال: [طوبى] لمن لا يكون له وسيلة إلى الله تعالى إلاّ الله عزّ وجل[1].

---

(١) طبقات الصوفية ٤٩٤، مناقب الأبرار ٨٦٨، وما بين معقوفين مستدرك منهما.

وقال: من تركَ الدنيا لأجلِ الدنيا، فذلك علامةٌ على حبِّه لجميعِ الدنيا.

رحمه الله وأحسنَ إليه، ونسألُهُ أن يغفرَ لنا، ويرحمَنا، ويتوبَ علينا ببركة أوليائه، إنّه غفورٌ رحيم، وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآله الطيِّبين الطاهرين أجمعين.

* * *